١٦ آذار تاريخ ذبح حلبجة وانبعاثها باجتماع الجمعية الوطنية

اياد عطية

حلبجة الغافية باطمئنان في أحضان سهل شهرزور .. مدينة الجمال والثقافة والابداع الكردي، المدينة التي حباها الله بسحر الطبيعة ومناخها المعتدل ورزها وخيرها الوفير، استفاقت في صبيحة ١٦ آذار ١٩٨٨ على يوم دموي بدأ بموجات من القصف المدفعي والجوي مما دفع سكانها وخاصة من الاطفال والشيوخ الى الانزواء في الاقبية هرباً من القذائف والقنابل استمر القصف ساعات طويلة قبل ان تكتمل فصول الجريمة بالقاء ١٦ طائرة خليطا من غاز الخردل والاعصاب لتغطى سماء المدينة سحابة صفراء كثيفة من الغازات.. وخلال دقائق معدودة أبيد ٥ آلاف مواطن من سكان حلبجة قضوا نحبهم خنقاً بالغازات بينما أصيب عشرة آلاف غيرهم، في ابشع مجزرة اعدها صدام وعلي الكيمياويان مستهدفين ابادة مدينة بكاملها..

دلالة ذات مغزى

وفي ١٦ آذار ٢٠٠٥ تعقد الجمعية الوطنية العمومية المنتخبة اول اجتماع لها، وحول الاشارة التي أراد اعضاء الجمعية الوطنية ارسالها من خلال اختيار هذا التاريخ يقول السيد سعدون الفيلي مسؤول تنظيمات بغداد في الاتحاد الوطني الكردستاني: انها دلالة ذات مضامين نبيلة، ففي هذا اليوم الذي تعرضت فيه مدينة حلبجة الى ابادة جماعية في عام ١٩٨٨، يجتمع ممثلو الشعب العراقي في اليوم نفسه لكن في عام ٢٠٠٥ ليؤسسوا لبناء عراق حر ديمقراطي فدرالي من خلال عملية انتخابية رائعة، ويعملوا على تكريس قيم العدالة وحقوق الإنسان، وهذا الاختيار يبعث السعادة والارتياح في نفوس اهالي مدينة حلبجة.

يوم لا ينسى

لن ينسى سكان مدينة حلبجة احداث ذلك اليوم الأليم حينما استباح صدام مدينتهم بأسلحة الدمار الشامل ليطيح بالزرع والضرع والأرواح البريئة مرة واحدة، فهذا مواطن من اهالي حلبجة مازال يتذكر تلك المشاهد المروعة ويصف تفاصيلها بدقة.. يقول: بعد انتهاء القصف المدفعي القت الطائرات قنابل اسطوانية الشكل تحمل الغازات السامة ثم انفجرت وغطت سماء المدينة بسحب صفراء وانتشرت رائحة تشبه رائحة التفاح، وقد ظننا في باديء الامر انها رائحة الورود والاعشاب البرية التي تجلبها الرياح في موسم الربيع، لكننا بدأنا نشعر بانا شفاهنا بدأت تتيبس واونوفنا تزرق، واسناننا تصطك، واننا بدأنا نفقد توازننا وتتلاشى امام عيوننا الرؤية والتركيز ينعدم، وراحت الاجساد تترنح، عندها بدأ الناس يهربون فزعين بحثا عن ملاذ آمن من الموت النازل من السماء، اما انا فقد رجت في غيبوبة ولم افق الا بعد ايام في المستشفى..

ويقول السيد سعدون الفيلي، لقد علمنا بالمجزرة وحضرنا الى المدينة، وكانت النتيجة اكثر من خمسة الاف مواطن لقوا حتفهم بالغازات السامة وعشرات الالاف من المصابين، ومشاهد مفزعة، فهذه ام تحمل طفلها سقطت وهي تحتضنه، واجساد اطفال توزعت هنا وهناك، وللتاريخ اذكر انه لولا الجارة ايران التي فتحت حدودها امام المنكوبين لكانت الكارثة اكبر تدميراً، ولربما قضى سكان حلبجة نحبهم جميعاً في ذلك اليوم.

لكن لماذا حلبجة؟

يقول السيد سعدون الفيلي ان النظام ارتكب جريمته البشعة هذه عن سابق اصرار وتقصد جاء اختياره لمدينة حلبجة، لما تمثله هذه المدينة من مكانة كونها منبع الحضارة والفكر السياسي الكردستاني ومدينة المواجهة والتحدي لهذا النظام المستبد الطاغي، ويضيف السيد سعدون قائلاً : اود ان أشير الى ان رئيس النظام المخلوع هو الذي اشرف بنفسه على إعداد خطة الهجوم على المدينة، حين زار صدام مدينة كركوك قبل يومين من بدء الهجوم والتقى هناك القيادة العسكرية التي أعدت خطة الهجوم ومن ضمنها المجرم علي الكيمياوي.

كبش فداء

يقول احد الجنود الذين شاركوا في تلك المجزرة، رافضاً الكشف عن اسمه: بأن التعليمات صدرت الينا لتهيئة المواد السامة وكيفية استخدامها في المعركة.. وواضح ان جميع الجنود الذين اشتركوا في هذه العملية لم يكونوا على معرفة بطبيعة هذه المواد الكيمياوية القاتلة وتأثيرها وعلى أي طرف سوف تستخدم، وكل ما نعرفه انها ستستخدم ضد الأعداء.. ولم نكن نعلم ان الأعداء هم اخوتنا ابناء الشعب الكردي واطفال ونساء وشيوخ حلبجة، واكبر دليل على جهل الجنود بهذه العملية وطبيعة أهدافها والمواد السامة المستخدمة فيها، و الكثير منهم توفي بعد العملية مباشرة، في حين اصيبت غالبية من شارك في هذه الجريمة بأمراض وعصبية ونفسية، وحالات مرضية مزمنة كالارتعاش وفقدان الحواس كالشم والتذوق كما اصيب قسم كبير منهم بالعمى وبأمراض مزمنة كالعقم والأورام السرطانية. والحقيقة ان الجنود كانوا كبش فداء لهذه الجريمة الشنعاء.

المدينة مازالت تعاني آثارها

ويشرح الدكتور صلاح عبد القادر احد الأطباء الذين حضروا مع فريق الخبراء الدولي لمعاينة أوضاع المدينة بعد الهجوم جانباً من الآثار التي تركتها تلك الجريمة على المصابين ممن نجوا من تلك المجزرة، موضحاً ان السكان سيظلوا يعانون آثارها لفترة طويلة، وهذا ما حدث فعلاً فالأطفال حديثو الولادة يعانون تشوهات خلقية، وحتى الأشخاص الذين نجوا من تلك المجزرة مازالوا يعانون آلاماً في الجهاز العصبي والتنفسي وفقدان البصر والشهية وتساقط الشعر وقد اودت هذه الأمراض بحياة عدد كبير منهم.

وفي تقرير لمبعوث الأمم المتحدة في ذلك الوقت ورئيس الخبراء الدوليين السيد هولنر، عبر فيه عن اسفه لهذه العملية البشعة التي راح ضحيتها اكثر من خمسة الآف مواطن وعشرة آلاف مصاب واشار الى الاثار التي تتركها هذه الجريمة ونتائجها على سكان المنطقة نفسياً وجسدياً وبيئياً .

قصة الطيار الذي منع حدوث حلبجة ثانية في الاهوار كما رواها للمدى

حكمه نظام صدام غيابياً بالإعدام وتغريمه مبلغ ٥٧٥ مليون دينار ثمن الطائرة التي فرّبها

اعداد / عامر القيسي

طائرة هليكوبتر قتالية من طراز (١٧ أ) محملة بالاسلحة الكيمياوية قرر لها ان تصب هذا الموت على العراقيين، نساء ورجالاً واطفالاً وشيوخاً، وبأوامر مباشرة من الفريق الركن (هشام صباح الفخري) والذي تسلم بدوره اوامره من صدام شخصياً وبين لحظة التنفيذ ولحظة اختيار الطيار بضع هنيهات ، ان يصب الموت على أهله او ينحاز الى اهله ، النقيب الملاح عماد عبد حميدي اختار ان ينحاز اليهم ويكسب راحة الضمير .

ما الذي حدث في تلك اللحظات الرهيفة ؟ كان هناك بين الارض والسماء يرى مئات العوائل وهي تنزح من منطقة الاهوار باتجاه الحدود الايرانية، وكان امامه على لوحة القيادة ازرار انطلاق سلاح الابادة !

بداية العداء

هاهو النقيب الملاح عماد عبد حميدي يحدثنا عن كامل القصة. يقول :

بدأ عدائي الحقيقي لنظام صدام عام ,١٩٨٨ عندما اعتقل اخي (ن.ض) فؤاد، بتهمة التهجم على السلطة، وحكم عليه بالسجن المؤبد، علماً انه غير مرتبط بأي تنظيم حزبي او اتجاه سياسي، كل ما في الامر ان احد رفاقه العراقيين نقل عنه كلاماً فُسر على انه تهجم على السلطة، وعلى شخص صدام على وجه التحديد ومن حينها ادركت كم هو رخيص انساننا في هذا البلد.

ويضيف النقيب الملاح وزاد كرهي للنظام عندما دفع بجيشنا لاحتلال دولة الكويت، وفقدانه احترام الناس له. ومن ثم الانسحاب المبعثر الذي امر به القائد المزعوم خلال ٢٤ ساعة!

العودة ثانية

بتاريخ ١٩٩١/٣/٢٤ قررت الالتحاق بوحدتي الكائنة في مطار قلعة صالح في محافظة ميسان، إذ كنت ضابط حركات في السرب وصلت الى مقر السرب مساءً ، وبعد دقائق قليلة، رن جرس الهاتف، فقام الرائد الطيار يوسف معاون امر السرب بالرد عليه، فبدا من خلال تعابير وجهه بان المتصل شخصية كبيرة. وعندما انتهت المكالمة توجه رائد (يوسف) الى الضباط الجالسين فقال: ياجماعة لقد اتصل الفريق الركن (هشام صباح فخر ي) طالباً طائرة محملة بكامل السلاح، المكون من ٦ بودات صواريخ زائداً اربعة آلاف اطلاقة، ومدفع رشاش مع طاقم مكون من أكفأ الطياريين، وانا ارى ان يقود الطائرة النقيب الطيار (م) وعليه ان يختار طياراً مساعداً. فاجاب النقيب (م): نعم سيدي. واشار بيده الى ملازم أول (ش) قائلاً: انت تطير معي. وقلت انا بدوري الى نقيب (م) وانا أريد ان اذهب معكم كملاح طائرة، فقال لي ولو انني لا احتاج الى ملاح فالمسافة قصيرة، ولكن لابأس أذهب وجهز نفسك سننطلق في الثامنة صباحاً.

وفي اثناء احاديث الليل بين الضباط تبين ان هذا الواجب هو لمعالجة مجاميع من اهالي الاهوار تحاول الهرب الى ايران خوفاً من انتقام النظام.

وفي صباح اليوم الثاني، وفي الثامنة تماماً اقلعنا بطائرة الهليكوبتر، بعد ان تم تجهيزها وفحصت من قبل المهندس المشرف ومن قبل نقيب (م). وبعد الاقلاع بعشر دقائق، فوجئت بقائد الطائرة يفتح العديد من (السويجات) ، والكل ينظر الى الاسفل والى الجوانب فقلت له: ماذا تفعل نقيب (م) فقال لي: لقد وصلنا الهدف الا تشاهد هؤلاء الناس الذين يسلكون هذه الطرق باتجاه ايران، نظرت بدقة ، فشاهدت مئات البشر على شكل عوائل ، يسيرون ارتالاً ولايوجد بينهم مسلح واحد. كان المنظر واضحاً من ارتفاع ١٠٠متر، في هذه اللحظة كنت جالساً في الوسط بين الطيار الاول والطيار الثاني.

وكان خلفي (ن.ض) (س) براد جوي وحينها قررت ان افعل شيئاً. قمت من مكاني ومددت يدي على كل المفاتيح الخاصة بالقصف والرمي وانزلتها عن وضعها الاستعدادي للرمي وسحبت مسدسي الشخصي ووضعته على رأس قائد الطائرة وقلت له: اياك ان تطلق رصاصة واحدة على هؤلاء فأجابني: بان هذا امر ويجب تنفيذه وانا الكابتن هنا، وامام اصراري على عدم الرمي استدار بالطائرة وقال: اذن نرجع الى المطار. فاطلقت رصاصة على الزجاجة الامامية للطائرة احدثت فيها ثقباً واسعاً، في هذه اللحظة ايقن الكابتن بان لا مفر من الانصياع لاوامري. لاني هددت بكل وضوح بنسف الطائرة، فقال لي الكابتن اعطني وعداً بانك لن تؤذينا اذا اطعناك، فاقسمت له بانني لن افعل شيئاً يؤذيهم وان هدفي هو انقاذ هؤلاء الابرياء وامرته بالانحدار الى اوطأ ارتفاع واقصى سرعة ممكنة وباتجاه ٩٠ درجة أي الى ايران، فهي أقرب دولة لنا ممكن الوصول اليها بأقصى سرعة واستغرق وصولنا الى ناحية (الحويزة) داخل الاراضي الايرانية (٢٠) دقيقة، امرته بالنزول على اطراف المدينة، حيث تجمع الاف العراقيين واستقبلونا بحفاوة. سلمنا أنفسنا الى السلطات الإيرانية وباشروا التحقيق معنا. وخلال مدة ثلاثة أيام،تم استكمال التحقيق، ومن اعتراف الطيارين تبين لهم بأنني أجبرت الطاقم فيما بعد (اثناء فترة التحقيق) من إذاعة طهران وصوت المعارضة العراقية وإذاعة لندن، بان الطائرة كانت محملة بالسلام الكيمياوي، عندما سمعت هذا الخبر ظننت انه نوع من الدعاية والتضخيم ضد النظام الصدامي، ولكن حين سألت احد الطيارين عن صحة هذا الخبر، أكده لي، وقال انه قد عرف ذلك من لحظة الانطلاق من قبل المهندس المشرف على تسليح الطائرة، فأصبت بالذهول وفي الوقت نفسه اجتاحني فرح غامر لأني نجحت في إنقاذ المئات من الأبرياء من أبناء شعبي، ومنعت حدوث حلبجة ثانية في الجنوب. وبعد استكمال جميع التحقيقات اعتبرت السلطات الإيرانية الأشخاص الذين كانوا معي، كأسرى حرب، واعتبروني لاجئاً سياسياً.

في النهاية قال النقيب عماد: اود ان انوه بمعاناة عائلتي من الظلم والاضطهاد الذي لحق بهم جراء موقفي هذا واشكرهم جميعاً على صبرهم فقد كانوا شجعاناً حقاً. علماً بان حكماً غيابياً بالاعدام صدر بحقي وغرامة مالية قدرها ٥٧٥ مليون دينار هو ثمن الطائرة وهذه القرارات مدونة في اضبارتي الشخصية في سجلات الاستخبارات العسكرية العامة. واحمد الله على كل شيء فانا الآن في وطني مرفوع الرأس بين شعبي وأهلي.

اسمها تصغير لاسم حلب الشامية.. واختيرت لقدر كيمياوي!

يحيى الشرع

سهول خضر تحيطها جبال شامخات تلك هي مدينة حلبجة التي دخلتها زائراً برفقة المترجم نريمان علي، كان هذا هو الحاضر، لكن حلبجة يتقدمها الماضي، اسم مذبحة لا مثيل لها في التاريخ.

يقطع نريمان علي تأملاتي ويعيدني- كما لو انه علم بخواطري- الى ماض أبعد، فقال ان اسم حلبجة يعني حلب الصغيرة. انه تصغير لاسم حلب الشام.

المصادر التاريخية تشير الى انها أسست عام ١٦٠٠م، وكانت ولاية عثمانية عينوا عليها والياً، وهي لهذا اقدم من السليمانية ويبدو انها كانت تمتاز بأهمية جغرافية وتجارية وسياسية.

لا سبيل لاكتشاف ملابسات صعود مدن او غيابها. كان التاريخ العثماني يصنع ملابساته اينما حلّ، يصنع قوة او ضعف في جغرافية ضمت الى السياسة . هل كان متوقعاً ان تذهب السياسة الى الجنون وتختار حلبجة لمجزرة ؟

في يوم ١٩٨٨/٣/١٦ قامت طائرات صدام ومدفعيته بقصف المدينة في الساعة ١١,٣٥ صباحاً بالغازات السامة من خردل وتابان والزارين.

وبلمح البصر قتل أكثر من (٥٠٠٠) مواطن وجرح (١٠٠٠٠) مدني مات الكثيرون منهم متأثرين بالتسمم. وحتى الان تفيد السجلات الطبية الى وجود العشرات من الولادات غير الطبيعية والعشرات من المصابين بانواع من امراض السرطان.

وانت تدخل المدينة يستقبلك نصب الشهداء وهو عبارة عن بناء فخم شيد على قطعة ارض مساحتها (١٨٠٠) متر مربع جسد الجريمة التي دفع ثمنها أهالي حلبجة واستوقفني سجل التشريفات في مدخل البناية إذ تضمن كلمات المسؤولين والساسة والاعلاميين والفنانين وشرائح المجتمع كافة من عرب وأجانب .

انضم الينا السيد عبد القادر شاوي صحفي من المدينة وهو رفيق نريمان المترجم وأخذنا في جولة بين أروقة النصب وكان الرواق الأول عبارة عن مجموعة صور تحكي تاريخ المدينة من بناء واعمار وحياة بسيطة ينشدها الجميع .

اما الرواق الثاني فكان عبارة عن مرأى ينقل للمتلقي المشاهد الحقيقة والانسانية التي خلفتها الضربة الكيمياوية ، نساء واطفالاً ماتوا في اوضاع مختلفة لكن كان هناك مشهد مؤثر الاّ وهو الخباز عمر خاور الذي احتضن طفله الوليد وماتا معاً ، ولا تخلو الاروقة الاخرى من تجسيد عذابات مدينة خائرة تقتل يومياً الف مرة الى يومنا هذا، الشيء اللافت للنظر ان اغلب موظفي النصب هم من بقايا العوائل الذين نجوا بأعجوبة ومنهم موظفة كومبيوتر قتل جميع عائلتها الـ(٧) وبقيت هي وأختها محدثي الصحفي عبد القادر شاوي مدير تحرير مجلة في حلبجة قتل له (٦) افراد الاب والاخوات وبنات اخته.

وتشير الاحصائيات الى ان تعداد اهالي حلبجة بلغ قبل الضربة (٤٣) الف نسمة وبعد اكثر من (١٥) عاماً مازال العدد هو نفسه.

محطتنا الاخيرة كانت المقبرة وتقع على طرف المدينة الشرقي، وهي تضج بسكانها واسمائهم وتواريخهم، جميع القبور جماعية، هذا ما افصح عنه من اسماء جماعية تصل الى عشرة افراد في القبر الواحد لكن هناك قبراً واحداً هو سيد القبور إذ ضم اكثر من (١٥٠٠) انسان برئ ومسلم وعراقي ووطني فما تهمتهم ؟

تشير التقارير الطبية الموثقة في المدينة ولدى المنظمات العالمية الى ان ارتفاع معدلات الوفيات ناتج عن الاصابة بمرض سرطان الدم وهو شائع بين الاطفال.. وان المستشفيات في حلبجة والسليمانية تعاني نقصاً حاداً في الادوية والمستلزمات الطبية الخاصة بهذا المرض وغيره من الأمراض.